



كيفه حاولت المكسيك إنقاذ فرويد من النازيين*

لو نجحت حملة جلب فرويد إلى المكسيك، لعاش بين الفنانين والمثقفين

How Mexico tried to save Freud from the Nazis

Had the campaign to bring Freud to Mexico succeeded, he would have lived among artists and intellectuals

RUBÉN GALLO

ترجمة بتصرف: أ.د. سامر جميل رضوان - علم النفس - سوريا-عمان

srudwan@hotmail.com



في ربيع عام 1938 ، نقلت الصحافة المكسيكية عن المخاطر التي واجهها فرويد في النمسا بعد احتلال النمسا: فقد داهمت قوات الجستابو مكاتب دار التحليل النفسي، وفتشت الشقة في زقاق الجبل رقم 19 Berggasse ، واحتجزت ابنته أنا لفترة قصيرة. فاتخذ فرويد - الذي كان متردداً في الهجرة - قراره بمغادرة فيينا، ولكن ظهر أن قراره قد جاء متأخراً للغاية: فقد أصبح الحصول على تأشيرة خروج لليهود النمساويين شبه مستحيل. كان من الممكن أن يظل فرويد محاصراً في فيينا لولا مجموعة من

الأصدقاء الأقوياء الذين أطلقوا حملة دبلوماسية واسعة النطاق نيابة عنه: وليام بوليت ، السفير الأمريكي في فرنسا؛ إرنست جونز، الذي ضغط على أعضاء البرلمان البريطاني؛ والأميرة ماري بونابرت، التي كانت على اتصال مباشر مع الرئيس روزفلت نفسه.

في المكسيك ، قام الرئيس لازارو كارديناس **Lázaro Cárdenas** - أحد أكثر القادة شعبية في تاريخ القرن العشرين - بتحويل بلاده إلى ملاذ للمثقفين المضطهدين: بفقد سقوط الجمهورية الإسبانية، منح اللجوء السياسي لآلاف اللاجئين، وتدفق إلى المكسيك عدد هائل من الفنانين والشعراء والأكاديميين والفلاسفة الذين لعبوا دوراً مهماً في ثقافة ما بعد الحرب. ففي عالم مهدد بظهور الفاشية فتح كارديناس أبواب بلده أمام الاشتراكيين والمهاجرين معهم من جميع الأنواع. وقد قبل ليون تروتسكي دعوة كارديناس واستقر في مدينة مكسيكو في عام 1937. وسيتبعه تشكيلة رائعة من اللاجئين العالميين من إسبانيا وفرنسا وألمانيا والنمسا والعديد من البلدان الأخرى.

بعد أن نشرت الصحافة تقاريراً حول مشكلات فرويد في النمسا النازية، قامت مجموعة من الناشطين بإطلاق حملة لإحضار الأستاذ إلى المكسيك. فأرسل الفرع الحلي من المعونة الحمراء Red Aid International برقية إلى كارديناس **Cárdenas** ، يحثه فيها على تقديم اللجوء إلى فرويد، الذي وصفه بأنه "أكبر باحث في مختلف مظاهر الروح، الذي هدم التحيزات وقام ببناء أسس الأخلاق العالمية الجديدة". وخلال الأسابيع الثلاثة المقبلة، تلقى الرئيس المكسيكي خمسة برقيات أخرى من منظمات مختلفة تحثه على تقديم ملاذاً آمناً لفرويد. من المثير للدهشة أن كل هذه الطلبات جاءت من النقابات العمالية: نقابة العاملين في فنون الجرافيك، ونقابة العاملين في التعليم، ونقابة عمال المعادن والتي أرسلت جميعها في 21 أبريل [نيسان]؛ تبعها اتحاد النقابات المكسيكية يوم 27 أبريل. وحتى اتحاد عمال قصب السكر قفز على العربة وأرسل برقية.

في ربيع عام 1938 ، نقلت الصحافة المكسيكية عن المخاطر التي واجهها فرويد في النمسا بعد احتلال النمسا: فقد داهمت قوات الجستابو مكاتب دار التحليل النفسي، وفتشت الشقة في زقاق الجبل رقم 19 Berggasse ، واحتجزت ابنته أنا لفترة قصيرة

في المكسيك ، قام الرئيس لازارو كارديناس **Lázaro Cárdenas** - أحد أكثر القادة شعبية في تاريخ القرن العشرين - بتحويل بلاده إلى ملاذ للمثقفين المضطهدين: بفقد سقوط الجمهورية الإسبانية

يقدم هذا الكتاب شهادة مفصلة عن علاقة فرويد بدولة لم يأت أرضها أبداً، ولكنه سكنها بشكل مبدع على العديد من

من المؤكد أن تصور فرويد قد تغير منذ عام 1932، عندما هاجمت إكسيلسيور Excelsior ، وهي جريدة يومية في مكسيكو سيتي، الطبيب الفيناوي باعتباره "teratólogo" [عالم المسخ] والتحليل النفسي "مدرسة فكرية مكتئبة". وخلال بضع سنوات فقط، أصبح فرويد قديساً لليسايبين، فقد احتضنته النقابات وأشاد به عمال قصب السكر والكهربائيين على حد سواء. حتى أن المعونة الحمراء Red Aid¹ International قد قفزت للدفاع عن فرويد، مما يوحي بأن الستالينيين المكسيكيين كانوا متحمسين للنظريات الفرويدية بنفس القدر من حماسهم للتعاليم الماركسية (ما لم يكن لديهم خطة مكيفيلية أكثر في الاعتبار ويأملون في جذب الطبيب الفيني إلى المكسيك كما قد يكونوا قد فعلوا مع تروتسكي!).

ولكن خطة إحضار فرويد إلى المكسيك لم تصل إلى مدى بعيد. ورد إدواردو هاي، وزير الخارجية المكسيكي، على البرقية التي أرسلتها المعونة الحمراء، مشيراً إلى أن الرئيس كارديناس "عرض بالفعل مساعدة جميع اللاجئين السياسيين النمساويين". فإذا طلب فرويد اللجوء في السفارة المكسيكية، كتب "تحال إلى وزارة الداخلية".

لو قبل فرويد كرم الضيافة الذي قدمه العاملون في مجال الكهرباء وموظفو قصب السكر في المكسيك، لربما كان قد استقر في كويواكان Coyoacán ، الحي الهادئ في جنوب مدينة مكسيكو والتي كانت مقراً للفنانين والمثقفين. وربما اختار من أجل الأزمنة القديمة العيش في شارع Calle Viena ، على بعد بضعة بيوت من تروتسكي وعلى مسافة قصيرة من منزل فريدا كولو Frida Kahlo الأزرق. وكان سيحظى بالعديد من الزوار وامتدادات طازجة من المرضى الجدد: وكان سلفادور نوفو Salvador Novo من بين أول من سيطرق بابه - إلى جانب راؤول كارانكا إي تروخيو، وكزافييه فيلوروتيا، وخورخي كويستا Raúl Carrancá y Trujillo, Xavier Villaurrutia, Jorge Cuesta، وغيرهم من أعضاء مجموعة كونتمبورانيوس. وكان أوكتافيو باز Octavio Paz يجلس على الأريكة، وربما إيلينا غارو، وأنتونيتا ريفاس ميركادو، وفريدا كولو Elena Garro, Antonieta Rivas Mercado and Frida Kahlo. وكان تروتسكي قد اغتتم الفرصة للتوفيق بين التحليل النفسي والماركسية. وكانت غرفة انتظار فرويد مكاناً لمعظم اللقاءات غير المتوقعة أبداً: باز وكالو وغارو و فيلوروتيا وكويستا وتروتسكي. وكان ديجو ريفيرا Diego Rivera سيحضر للدرشة - وللحديث عن التحليل النفسي والماركسية - لكن الأستاذ ربما اعتبره غير قابل للتحليل. وكان من المرجح أن يظل راموس بعيداً. حتى كارديناس، وهو رجل فضول فكري هائل، ربما كان سيأتي للاستشارة، وبذلك كان سيصبح أول رئيس دولة يجري تحليله.

و بعد وفاته ووفقاً للتقاليد المكسيكية كان سيتم نقل جثة فرويد إلى Bellas Artes للتأبين ثم يدفن بأبهة عظيمة في مقبرة الرجال العظماء. Rotunda Illustrious Men. وكانت آنا فرويد قد بقيت في المكسيك وربما أصبحت من أفضل أصدقاء ناتاليا سيدوفا، أرملة تروتسكي. وستدير حكومة مدينة مكسيكو دار فرويد- بما في ذلك المكتبة ومجموعة من الآثار - وسيحظى زوار كويواكان في يوم ما بفرصة لزيارة منازل كالو وتروتسكي وفرويد.

ولكن للأسف لم يقدم الأستاذ أبداً طلبه للحصول على اللجوء في السفارة المكسيكية. وعلى الرغم من أن الحملة الرامية إلى إحضار فرويد إلى المكسيك لم تصل إلى شيء، إلا أن كارديناس عبر عن غضبه الشديد من استيلاء ألمانيا على النمسا: فقد أمر ممثله في جمعية الأمم في جنيف بتقديم احتجاج رسمي ضد جماعة ضم النمسا. كانت المكسيك هي الدولة الوحيدة التي فعلت ذلك - وتعبيراً عن التضامن مع النمسا فقد تم إطلاق تسمية ساحة مكسيكو "Mexikoplatz" على ساحة صغيرة من الدانوب.

لم تكن حملة المعونة الحمراء هي آخر مرة تعد فيها المكسيك ملاذاً محتملاً لليهود النمساويين. ففي

أن تصور فرويد قد تغير منذ عام 1932، عندما هاجمت إكسيلسيور ، وهي جريدة يومية في مكسيكو سيتي، الطبيب الفيناوي باعتباره "teratólogo" [عالم المسخ] والتحليل النفسي "مدرسة فكرية مكتئبة"

خلال بضع سنوات فقط، أصبح فرويد قديساً لليسايبين، فقد احتضنته النقابات وأشاد به عمال قصب السكر والكهربائيين على حد سواء. حتى أن المعونة الحمراء Red Aid International قد قفزت للدفاع عن فرويد

أن الستالينيين المكسيكيين كانوا متحمسين للنظريات الفرويدية بنفس القدر من حماسهم للتعاليم الماركسية

كان تروتسكي قد اغتتم الفرصة للتوفيق بين التحليل النفسي والماركسية. وكانت غرفة انتظار فرويد مكاناً لمعظم اللقاءات غير المتوقعة أبداً: باز وكالو وغارو و فيلوروتيا وكويستا وتروتسكي

نوفمبر من عام 1938، وبعد أن غادر فرويد فيينا أخيراً واستقر في لندن، وضعت الأميرة ماري بونايرت خطة لإنقاذ اليهود الأوروبيين. فكتبت إلى بوليت Bullitt واقترحت أن تشتري حكومة الولايات المتحدة ولاية باجا في كاليفورنيا التابعة للمكسيك Baja California from Mexico وتأسيس دولة يهودية في تلك المنطقة. وأضافت أن فرويد أحب الفكرة. فجاءها الرد من بوليت Bullitt² برسالة مهذبة ومراوغة، ولكن الأميرة - اعتادت على أن تكون لها الكلمة الأخيرة - فكتبت مباشرة إلى روزفلت، وحثته على النظر في اقتراحها. لقد شعر فرويد بالذهول من هذه الحملة الرائعة، لكنه أخبر الأميرة أنه لا يستطيع أخذ "خطتها الاستعمارية" على محمل الجد.

لقد ورثت ماري بونايرت، ابنة أخت نابليون الثالث، تصور عمها للمكسيك كهدف سهل للتوسع الاستعماري. وعلى الرغم من أن اقتراحها لم يبتعد كثيراً - مثل الحملة التي أطلقتها المعونة الحمراء Red Aid، إلا أن المرء يتساءل عما كان يمكن أن يكون مصير دولة يهودية في باجا - كاليفورنيا. (المزايا: الجامعة العبرية في تيخوانا، كيبوتسات على المحيط الهادئ، دفق مستمر من المحليين إلى شمال المكسيك؛ أما العيوب: طعام الكوشر المكسيكي، عدم وجود الحائط الغربي، حماس في سان دييغو). ظهرت العلاقة بين فرويد والمكسيك ودولة يهودية مرة أخرى في عام 2008، عندما ضمن الشاعر كيفن ديفيز الأبيات الآتية - مثلاً كلاسيكياً على آليات التكتيف والتهجير - في كتابه "العصر الذهبي لأدوات التجميل":

حاول فرويد في يوم من الأيام شراء المكسيك
فخشي داروين النيازك وعلاقتها بالإشنيات.
ماثيو أرنولد كره البط، كرهها فقط

مقتبس من "Freud's Mexico"³ لروبين جالو. أعيد طبعها بإذن من * MIT Press Reader

¹ منظمة أسست من الاشتراكية الدولية

² كان ويليام كريستيان بوليت جونيور (25 يناير 1891 - 15 فبراير 1967) دبلوماسياً وصحفيًا وروائيًا أمريكيًا. وهو معروف بمهمته الخاصة للتفاوض مع لينين نيابة عن مؤتمر باريس للسلام، وغالبًا ما يُشار إليه على أنه فرصة ضائعة لتطبيع العلاقات مع البلاشفة. وكان أيضًا أول سفير للولايات المتحدة في الاتحاد السوفيتي، وسفيرًا للولايات المتحدة في فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية. في شبابه كان يعتبر راديكالياً، أصبح فيما بعد معادياً للشيوعية.

³ فرويد المكسيك Freud's Mexico هي مساهمة غير متوقعة تمامًا في دراسات فرويد. وفيها يكشف روبن جالو عن صلات فرويد التي لم يتم الكشف عنها سابقًا بالثقافة وتقاليد التحليل النفسي التي يتم ربطها به كثيرًا. وبقدم هذا الكتاب شهادة مفصلة عن علاقة فرويد بدولة لم يبطأ أرضها أبدًا، ولكنه سكنها بشكل مبدع على العديد من المستويات.

في مكسيك العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين، أثر فرويد ليس فقط على الأطباء النفسيين فحسب وإنما في الأوساط الأدبية والفنية والسياسية. يكتب جالو عن "طاقم متنوع" من قراء فرويد الذين ابتكروا بعضًا من التطبيقات الأكثر تفصيلاً وتأثيرًا وغنى لنظرية التحليل النفسي في أي مكان في العالم.

فبعد أن قام بوصف فرويد المكسيك، يقدم عملية إعادة تركيب مبتكرة لفرويد المكسيك Freud's Mexico: لقد امتلك فرويد مقالاً عن القانون الجنائي لقاض مكسيكي وضع المدعى عليهم - بمن فيهم قاتل تروتسكي - على أريكة المحلل النفسي؛ وامتلك على قطع مكسيكية كجزء من مجموعته الشهيرة من الآثار؛ وسجل أحلام من مكسيك محفوفة بالمخاطر؛ تنتمي إلى مجتمع سري يدير شؤونه باللغة الإسبانية

على الرغم من أن الحملة الرامية إلى إحضار فرويد إلى المكسيك لم تصل إلى شيء، إلا أن كارديناس عبر عن تحذيره الشديد من استيلاء ألمانيا على النمسا

لم تكن حملة المعونة الحمراء هي آخر مرة تعد فيها المكسيك ملاذًا محتملاً لليهود النمساويين. ففي نوفمبر من عام 1938، وبعد أن غادر فرويد فيينا أخيراً واستقر في لندن، وضعت الأميرة ماري بونايرت خطة لإنقاذ اليهود الأوروبيين

لقد ورثت ماري بونايرت، ابنة أخت نابليون الثالث، تصور عمها للمكسيك كهدف سهل للتوسع الاستعماري

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Documents/DocRudwanSaveFreudFromNazis.pdf>

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقميا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

إصدار " الكتاب السنوي 2018 لشبكة العلوم النفسية العربية "

" منجزات 15 عاما من العطاء "

(شامل كامل الانجازات)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

تحميل الكتاب

- التحميل من موقع " شبكة العلوم النفسية العربية "

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

- التحميل من موقع المتجر الإلكتروني لـ " مؤسسة العلوم النفسية العربية "

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=330&controller=product&id_lang=3

اشتراكات المساندة في مؤسسة العلوم النفسية العربية 2019

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

اشتراكات العضوية الفخرية في المؤسسة 2019

عضوية " الشريك الفخري الراحل "

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=125&controller=product&id_lang=3

عضوية " الشريك الفخري الماسي المميز "

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=275&controller=product&id_lang=3

عضوية " الشريك الفخري الماسي "

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=116&controller=product&id_lang=3

اشتراكات العضوية الشرفية في المؤسسة 2019

عضوية " الشريك الشرفي المميز "

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=126&controller=product&id_lang=3

عضوية " الشريك الشرفي الذهبي "

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=117&controller=product&id_lang=3



شبكة علوم النفس العربية

نحو لياقة نفسانية أفضل

مؤسسة العلوم النفسية العربية

معا ... نذهب أبعد